حروب الذاكرة مقاربة بنائية اجتماعية لفهم النزاع الأوكراني الروسي

Memory Wars: A Social Constructivist Approach to Understanding the Ukrainian-Russian Conflict

د/ علي لوراري[1]*

[1]المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية(الجزائر)

lerari_ali@hotmail.com

د/حميد رامي

hamirami10@yahoo.com

[2]المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2022/09/29 تاريخ القبول للنشر: 2022/12/29 تاريخ النشر: 2022/12/29

ملخص: من الواضح أن قوانين الذاكرة، التي كان هدفها الأولي في الغرب هو تعزيز ثقافة الذاكرة الديمقراطية التي تؤكد على معاناة الضحايا، أصبحت في مناطق أخرى من العالم، خاصة في شرق القارة، تعني التعبئة القومية وحروب الذاكرة. فهذا التطور يرجع بالطبع إلى خصائص الدول التي عرفت النظام الاشتراكي السوفييتي، ويبدو أن إساءة استخدام عناصر الذاكرة في كلا البلدين إلى حد كبير كان له كبير الأثر على تعزيز مشاعر العداء والجفاء بين الشعبين. لكن هذه التطورات مرتبطة أيضًا بمبدأ استخدام القانون الجنائي كأداة لتنظيم الذاكرة التاريخية. فالحقيقة كما يحدّدها القانون دائمًا ما تكون مختزلة للغاية بالمقارنة مع الحقيقة التاريخية، كما أنّ قوانين الذاكرة، كما هي عليه في روسيا وأوكرانيا، تمنح القوميين والشعبويين أداة مريحة للغاية للتلاعب بحقائق الماضي، مما يقلل الفرص لتحقيق فهم التاريخ المشترك بين الشعبين، بناءً على فحص نقدي يتجنّب توظيفه كرهان سلطوي

الكلمات المفتاحية: أوكرانيا، الهولودومور، الحرب الوطنية الكبرى، سياسات الهوّية

***Abstract**:* is obvious that the memory laws, whose initial objective in the West was to promote a democratic culture of memory emphasizing the sufferings of the victims, ended up becoming, especially in the east of the continent, privileged means nationalist mobilization and wars of memory. This evolution is of course due to the particularities of the countries having known the Soviet socialist regime, and the abuse of non -tollit USum seems, to a certain extent, applicable here. But these developments are also linked to the very principle of the use of criminal law as an instrument for the regulation of historical memory. The truth of the law is always very reductive in comparison with historical truth, much more complex and nuanced. The memory laws give nationalists and populists an instrument that is too convenient to manipulate the facts of the past, which reduces our chances of achieving an understanding of history based on its critical examination.

key words: Memory; Ukrain, Holodomor, the Great Patriotic War, Identity Policy.

* المؤلف المرسل

1.مقدّمة:

حاولت أوكرانيا منذ استقلالها سنة 1991 أن تكتسب رأسمالا رمزيا لتقوية هويتها الوطنية وتصبح دولة قومية Etat-nation منسجمة ومتجانسة، لكنّ هذا الهدف اصطدم بحقيقة تاريخية وواقع مجتمعي يتميّز بالفرقة والانقسام، فأقاليمها الغربية ظلّت لقرون خلت تحاول جاهدة التقارب مع الغرب والانخراط في ثقافته، بينما استمّرت أقاليمها الشرقية في التمسّك بارتباطاتها الحضارية والمجتمعية مع روسيا، والأمر نفسه ينطبق على روسيا الاتحادية التي تبنّت سياسات للذاكرة و الهوّية تمجّد العنصر الروسي على حساب العناصر الأخرى المكونّة للكيان الشاسع جغرافيا و المتسع لعشرات من القوميات و العرقيات و الثقافات المتنوعة و المتميزة عن بعضها البعض

لقد كان لهذا الواقع، الدور الكبير في تأجيج الصراعات بين الطرفين، والتي تمخض عنها الأزمة الأوكرانية سنة 2014 وانتهت إلى الحرب الروسية الأوكرانية التي اندلعت أواخر فيفري 2022 ولا زالت إلى غاية كتابة هذا العمل.

وبالنظر إلى حجم التوظيف الذي شمل مختلف العناصر التي تمّس مسائل الهوّية، فإن هذا العمل يسعى للبحث في عنصر أساسي يحتاج إلى أن نلقي عليه مزيدا من الضوء، ألا وهو سياسات الذاكرة، وكيف يدركها صنّاع القرار في البلدين؟، وكيف يتم توظيفها؟، و ماهي نتائجها على العلاقات الروسية الأوكرانية؟، و كيف ساهمت في تأجيج النزاع الحاصل؟

وتبرز أهمّية مسألة الذاكرة الوطنية في أوكرانيا وإشكالاتها وتناقضاتها من وجود معضلة تاريخية أساسية، باعتبار هذه الدولة الفتّية التي نشأت على إثر تفكّك الاتحاد السوفييتي، لم تكن تشكّل قبل هذا التاريخ كيانا سياسيا موحدا يضم، مختلف الأقاليم التي تتكون منها جمهورية أوكرانيا المستقلة، فلقد آلت مختلف أقاليمها تاريخيا إلى السيطرة الروسية أو إلى النفوذ البولوني.

وأمام حدّة وحجم التباين بين المؤثرات الغربية والروسية، بات من الصعب صياغة هوّية قومية أوكرانية جامعة أو صياغة ذاكرة وطنية يتقبّلها الجميع، فالشعب الأوكراني ليس موحدّا ولا ينظر إلى تاريخه و ماضيه بنفس النظرة، و بخاصة عندما يرتبط هذا الماضي بالوجود الروسي الطاغي منذ قرون طويلة.

وهو ما يصدق كذلك ، على السياسات التي انتهجتها روسيا الفيدرالية لتعزيز هويتها القومية و تماسكها الداخلي ، و بخاصة، بعد تولّي الرئيس فلاديمير بوتين منصب رئاسة الدولة خلفا لبوريس التسين ، إذ لا يخفى على أحد أنّ التجربة السوفييتية ، كانت بالنسبة لمعظم شعوب الاتحاد تشكّل استعمارا روسيا خالصا و أنّ تاريخ استقلال الجمهوريات السوفييتية هو نفسه تاريخ إعلان زوال الاتحاد، وعليه فموضوع الذاكرة الذي ستشتغل عليه السلطات الروسية سيصطدم لا محالة برؤى و تصورات للتاريخ المشترك بين مكونات الاتحاد تختلف عن روايتها الرسمية ، ما يجعل موضوع الذاكرة في روسيا من أعقد المواضيع و أكثرها إثارة للخلافات و التناقضات

2: تحديد مواضيع الذاكرة الأكثر إثارة للتعارض والصراع بين الطرفين

إن تزايد الاهتمام بموضوع الذاكرة بدأ منذ سبعينيات القرن العشرين في أوروبا الغربية، وانتقل هذا الاهتمام إلى دول أوروبا الشرقية وجمهوريات الاتحاد السوفييتي، بعد انهيار المنظومة الشيوعية، حيث يمكن إدراجه فيما يسمّيه عالم الاجتماع الفرنسي Pierre Nora بيير نورا (la décolonisation de l'histoire) (Pierre, 1993, p. 122)أي تخليص التاريخ من سطوة القيود التي فرضها الاستعمار الفعلي أو تلك التي فرضتها الأنظمة الشمولية والتسلّطية التي سادت في هذا الفضاء لعقود طويلة.

فبروز أشكال جديدة للذاكرة، تبين أنّ كل جماعة، سواء كانت تمثل أغلبية أو أقلية، تستطيع اليوم، استرجاع مقومات ذاكرتها لصياغة أو بناء هويتها الخاصة، فاستقلال هذه الدول أو نجاح عملية التحول الديمقراطي فيها، بعد سيطرة الأيديولوجية الشيوعية، التي فرضت تصورا جامدا لمسألة الهوية والأمة، سمح لهذه الشعوب أن تستعيد أو تسترجع جزءا كبيرا من ذاكرتها التاريخية الطويلة والممتدة لقرون عديدة سبقت قيام هذه الأنظمة الشمولية.

فلقد تمّ اعتبار الرواية التي سوقتها الأنظمة الشيوعية في دول شرق أوروبا والاتحاد السوفييتي، رواية تاريخية مغلّطة ومزيّفة، وعليه أصبح دحضها (réfutation)واجبا وطنيا محضا قبل أن يكون عملا علميا يقوم به العلماء والمؤرخون.

إن السياق الذي عاشته أوكرانيا منذ استقلالها عن الاتحاد السوفييتي، هو سياق برز فيه، ما يمكن وصفه بإعادة الاعتبار للذاكرة (réhabilitation mémorielle) وإعادة بناء الهوّية (reconstruction identitaire)، وهو ما يجعلنا نركّز على ما أصبح يعرف بالاشتغال بالذاكرة (travail de mémoire) الذي يمكن اعتباره أداة التحليل الأساسية لهذا العمل لأنه كمفهوم يسمح بمساءلة ما يسميه مجموعة من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا بالشروط الاجتماعية الضرورية لإنتاج أو بناء الذاكرة. (Gerard, 2005, p. 45)

بيد أن أكثر ما يهم الباحثين السياسيين هو الاعتقاد الجازم أن الاشتغال بالذاكرة الجماعية لا يرتبط فقط بالمستوى العلمي، بل بما يستدعيه موضوع الذاكرة من رهانات وتوظيفات وأولويات سياسية قد تجعل منه موضوعا للتعارض المفضي للصراع والتنازع، يصل إلى حد الحرب الأهلية، في حال كانت صناعة الذاكرة الجماعية لمجموعة وطنية ما تصطدم مع تصور جماعة وطنية أخرى، وهو الأمر الذي تتوفّر جميع عناصره في المثال الأوكراني.

فالاشتغال بالذاكرة قد يكون عملا تعسّفيا منحازا، بحيث يلجأ القائمون عليه، لدواع سياسية، إلى اختيار فترات تاريخية دون غيرها، أو التركيز على رموز وطنية وإهمال أخرى، والرفع من قدر شخصيات تاريخية وتجاهل شخصيات أخرى، أو فرض تأويلات معينة لأحداث معينة وتجنّب أو تكذيب تأويلات مختلفة أخرى.

وعليه فإنّ هذا العمل سيحاول جرد بعض المسائل التي شكّلت عواملا لتأجيج الخلافات بين روسيا في أوكرانيا، انطلاقا من مدركات كل منهما لموضوع الذاكرة الجماعية.

تعدّدت نقاط الاختلاف بين الدولتين، لكنّ الاختلاف برز أكثر في مسألتين اثنتين، المجاعة التي حصلت في مستهل الثلاثينات من القرن العشرين، والحرب العالمية الثانية، فيكفي الرجوع إلى هاتين المحطتين المأساويتين في تاريخ أوكرانيا، لنلمس حجم التباين في وصف وتأويل و تمثل الأحداث التاريخية لدى الطرفين.

فموضوع الذاكرة يرتبط أساسا بمحطات او لحظات حاسمة في تاريخ الشعوب، تعبّر في بعض الأحيان عن المآسي و الكوارث و الحروب التي أصابتها، و عند الحديث عن أوكرانيا، بالذات، سنجد أنّ هذه الدولة الفتيّة و المنقسمة ، عايشت في فترات زمنية متقاربة جدا، جملة من المآسي لم يصب مثلها باقي الأمم، بيد أنّ تمثّلها و إدراكها، بل تأويلها أو حتى تبريرها من طرف ضد الطرف الآخر، هو الذي يهمّ الباحث السياسي، لأن هذا الاختلاف و التباين هو الذي سيغذي، التنافر بين المجموعتين و يزيد من حالة الاستقطاب ، و يسمح بتدخّل الأطراف الخارجية الداعمة، التي لن تتوانى عن توظيف موضوع الذاكرة لتحقيق مكاسب سياسية و استراتيجية.

3 - التأريخ لمجاعة الثلاثينيات (الهولودومور)

هناك القليل من القضايا التي تفرق بين الروس والأوكرانيين بالقدر الذي فعلته ولا زالت تفعله مسألة الهولودومور، وهي مجاعة رهيبة حصلت في أوكرانيا وارتبطت بالسياسة الزراعية الجديدة التي أراد ستالين في 1932-1933 تجسيدها، والتي تسبّبت في هلاك ملايين من البشر في هذه الجمهورية السوفييتية، وعبر الاتحاد السوفياتي. وهو ما تعتبره كييف "إبادة جماعية للشعب الأوكراني" بينما تعتبره موسكو مجرد "مأساة مشتركة للشعب السوفيتي". (Werth, 2014, p. 79)

لم يصل تقدير عدد الضحايا ولا جغرافية المجاعة ولا تفسير الحدث إلى توافق في الآراء، في العالم الأكاديمي كما في المجال السياسي. فبعد مرور ما يقرب من تسعين عامًا على الأحداث (Graziosi, 2005, p. 465)، لا يزال الموضوع أكثر اشتعالًا لأنه تم استغلاله على نطاق واسع منذ الاستقلال من قبل الحكومات الأوكرانية المتعاقبة، بحثًا عن الشرعية وأساسًا لهوية وطنية أضعفتها سبعة عقود من الهيمنة السوفيتية، وقرون من النفوذ الروسي.

إذ يعتبر معظم الأوكرانيين أنّ بلدهم كان الضحّية الأولى للسياسات الاستعمارية الروسية ، سواء في الفترة القيصرية أو في الفترة السوفييتية، و أكثر ما يغذي هذا الاعتبار أو الإدراك ، هو حجم المآسي و الكوارث التي لحقت بهذا الشعب في فترات طويلة من تاريخه ، بيد أنّ المجاعة التي عرفتها أوكرانيا في مستهل ثلاثينيات القرن العشرين، تبقى الفاجعة والمأساة الوطنية الأكثر رسوخا في المخيلة الجماعية لمعظم الشعب الأوكراني، و لعلّ التسمية أو التوصيف الذي وضعه الأوكرانيون لهذه التراجيديا التاريخية يدل على ذلك بنحو بليغ، فإطلاق تسمية الهولودومور (holodomor) التي تعني بالعربية (القتل بواسطة التجويع العمدي) هو وصف يؤكّد على طبيعة هذه المأساة العمدية، و المخطط لها ضد الشعب و الأمة الأوكرانية، لدى خصوم روسيا عموما و السياسات السوفييتية الاستعمارية (حسبهم) على وجه الخصوص .(Graziosi, 2005, p. 465)

ولفهم حقيقة هذه المأساة، لا بد أن نرجع إلى السياق التاريخي الذي وقعت فيه هذه المأساة، ونحاول أن نقارن بين تمثلها وفهمها لدى الأوكرانيين والروس.

لقد كانت الظروف الاقتصادية لجمهورية أوكرانيا السوفييتية أفضل بكثير من مثيلاتها في الجمهوريات السوفييتية الأخرى، بفضل السياسة الاقتصادية الجديدة (la NEP) التي صاغها مؤسس الدولة لينين،

والتي عمدت على إدخال القليل من الرأسمالية لإنقاذ ثورة شيوعية كانت تعاني من ركود اقتصادي كامل،. هذه السياسة تكللت بالنجاح. ولكن عندما تولى ستالين زمام الاتحاد السوفياتي في عام 1924، أعاد النظر بطريقة تدريجية في هذه السياسة، لأنّه كان يخشى أن يؤدي استمرار اقتصاد السوق المحدود إلى تعريض بناء الاشتراكية للخطر. علاوة على ذلك، كان يخشى أن تؤدي الحريات الممنوحة للأقليات، ولا سيما الأوكرانيين، إلى بروز النزعة القومية الأوكرانية مجدّدا (Werth، 2014، صفحة 82).

وإلى جانب هذه الاعتبارات، أراد ستالين أن يجعل من سياسة تسريع وتيرة التصنيع في الاتحاد السوفييتي، قاطرة التنمية الاقتصادية الشاملة، إذ تعتبر حسبه «نقطة التحول الكبرى" التي ستمكّن روسيا من أن تقطع أشواطا كبيرة في مسار اللحاق بالدول الصناعية الكبرى، لكن ذلك كان وفق سياسات قسرية قهرية، تميزت بالتعسف والقمع المفرط، فلقد كانت هذه السياسة التي بدأها جوزيف ستالين سنة 1929، تمهيدا لأحداث متتالية، انتهت بوقوع واحدة من أكبر عمليات التجويع والإبادة التي عرفتها البشرية في القرن العشرين، و بخاصة في القارة الاوروبية (Larané, 2020, p. 1)،

يرى العديد من الباحثين في الشؤون السوفييتية أن المأساة بدأت عندما أراد ستالين أن يستبدل واردات الاتحاد من الآلات وأدوات التصنيع الضرورية لتحقيق عملية التسريع الصناعي، بمنتجات محلّية، فكانت الصادرات الضخمة للحبوب من أوكرانيا، هي المورد المالي الذي سيموّل مشاريعه، فمنذ عام 1930، استحوذت السلطات الروسية وبطريقة وحشية على 30٪ من الحبوب، ثم 41٪ في العام التالي. و لتسهيل عمليات الاستحواذ وزيادة المردودية، أصدر ستالين مرسومًا يقضي بتأميم المستثمرات الزراعية، والتخلي عن الملكية الخاصة لصالح السوفخوزات والكولخوزات ، ومزارع الدولة والتعاونيات (Laurent, 2004, p. 3).

تمرد الفلاحون الصغار في جمهورية أوكرانيا السوفييتية بشكل جماعي (أو ما كانوا يسمون باللغة الروسية آنذاك بالكولاك « Koulaks ») في فبراير - مارس 1930 ، إذ تمّ إحصاء أكثر من مائة تمرد للكولاك في عموم أوكرانيا . هذه الفئة أو الطبقة التي وصفتها الدعاية السوفييتية الرسمية «أعداء البروليتاريا » ، "المضاربين" الذين يخفون الأسهم ، "المخربين" المتحالفين مع الدول الأجنبية، وليصبح كل فلاح يملك بقرة أو قليلا من الطيور الداجنة مستغلا و إقطاعيا.

تعرضت طبقة الفلاحين بأكملها، وخاصة في منطقتي خاركوف(KharKov) ودنيبرو (Dniepro) و بتروفسك (petrovisk) لقمع لا يرحم على نحو متزايد. حيث أطلق ستالين على أوكرانيا "كتائب الصدمة" المكونة من كومسومول (Komsomol) أي المنظمة السوفييتية للشباب الشيوعي، و أفراد من البروليتاريا المهمّشة ، أو كما كان كارل ماركس يطلق عليها (lumpenprolétariat). حيث تم تفتيش المزارع ثم تدميرها. وجرد أصحابها من كل مدخراتهم من الحبوب. حتى البذور صودرت، مما جعل الحصاد القادم مستحيلاً.

حيث قام أحد الشهود بوصف هذه المأساة بتفاصيلها المأساوية:

"وخلال الشتاء القارس 1932-1933 ، اندلعت المجاعة التي كانت تهددهم منذ شهور. تم احتجازهم بالقوة في مقاطعاتهم المنهوبة، تجولت جحافل الجياع بحثًا عن الطعام. أكلت الخيول، الكلاب،

القطط، جذور النباتات ، ثم الأطفال ... تضاعفت أعمال أكل لحوم البشر وبخاصة أصغرهم ، و أكثرهم ضعفاً ، كانوا أول الضحايا. مات الضعفاء من الجوع والبرد في منازلهم أو على أرصفة المدينة. انتحر الكثير. أصبحت أوكرانيا فراش الموت في الهواء الطلق" (Robert, 1995)

يتفق المؤرخون وعلماء الديموغرافيا، بعد الكثير من الدراسة والجدل، على أن المجاعة الكبرى قتلت ما يقرب من 5 ملايين شخص. فطوال هذا الوقت، لم يتوقف اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية مطلقًا عن تصدير ملايين الأطنان من الحبوب الأوكرانية

ولكنّ ما يثير التعجّب اليوم، هو قدرة السلطات السوفييتية آنذاك على إخفاء آثار هذه المجاعة عن الرأي العام العالمي، إذ لم تتحدّث عنها وسائل الإعلام العالمية إلا فيما ندر، أي بالطريقة نفسها، التي استطاعت السلطات الصينية الشيوعية من إخفاء النتائج الكارثية لسياسة ماوتسي تونغ، نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، و المسماة بالوثبة الكبرى نحو الأمام (le Grand Bond en avant)، و لكنّه و بالرجوع إلى بعض الإحصاءات السكّانية التي سبقت هذه المجازر، و مقابلتها بالإحصاءات التي تبعتها بسنوات قليلة يمكن التأكّد من أنّ الفترة التي شهدت فيها جمهورية أوكرانيا السوفييتية هذه الأحداث ، كانت بالفعل مرحلة حصل فيها فقد رهيب في عدد السكّان ، و هذه المستويات من الفقد لا يمكن أن تكون إلا نتيجة لكارثة عظمى، و هذا ما يبيّنه الجدول الآتي:

جدول رقم1: جدول يبين تباين مستويات الزيادة و النقصان في عدد سكان الجمهوريات السلافية في الفترة التي سبقت و تلت الهولودومور.

	سنة 1926		سنة 1939		نسبة التغير
	عدد السكان	%			
الاتحاد السوفييتي	013739700	100	170557100	100	16+
الروس	77791001	54	99591500	54	28+
البيلوروس	4738900	3.3	5275400	3.1	11.3+
الأوكرانيون	31195000	21.6	28111000	16.5	9.9-

المصدر: La grande famine en Ukraine. L'Holocauste inconnu. Publié par l'Association nationale ukrainienne. La source d'information est « Natsionalisti SSR » par Kozlov, p. 29. Petite encyclopédie soviétique, Édition 1940, à la section « U » -« SSR Ukrainien »; recensement .de la population d'Ukraine en1927: 32 millions; en 1939 (douze ans plus tard) – 28 millions

فمن خلال هذا الجدول الذي استقيت بياناته من وثائق حكومية رسمية، يتبين لنا أنّ أوكرانيا هي الجمهورية السلافية الوحيدة التي نقص عدد سكّانها بشكل رهيب، خلال بضع سنوات قليلة فقط، مقارنة بجمهوريتي روسيا و بيلوروسيا(روسيا البيضاء) ، و هو ما يعتبر عند علماء الديمغرافيا و الإحصاء دليل مادي صريح على حدوث ظاهرة غير طبيعية سبّبت هذا التحوّل الدراماتيكي و الجذري في عدد السكّان.

- هولودومور: بين النسبية الروسية والرواية الوطنية الأوكرانية (الذاكرة كرهان سياسي): لنعد أولاً إلى كلمة هولودومور نفسها. من الناحية اللغوية، فهي عبارة عن مزيج من كلمتين أوكرانيتين: هولود التي تعني "الجوع" أو حتى "المجاعة"، ومور التي يمكن ترجمتها على أنها قتل أو إعدام أو كارثة كبرى. وبالتالي فإن المجاعة تعني الإبادة بالجوع، وهو ما نجد له ما يشبهه في بعض اللغات كاللغة التشيكية التي تستعمل مفردة هلادومور (Hladomor) (Applebaum, 2022, p. 15)

إن رهانات الذاكرة متعددة ومعقدة. إنها مرتبطة بالتحديات السياسية، فهي إذن مسألة فهم أفضل لتطور هذه الذاكرة التي تم قمعها لأول مرة في الاتحاد السوفيتي، ثم على النقيض من ذلك، استخدمتها أوكرانيا المستقلة كبوتقة لهوية وطنية متجددة.

انتشرت ذكرى هولودومور ، التي كانت غائبة في البداية عن الاتحاد السوفيتي بسبب الرقابة التي فرضتها الدولة على كل ما يشير و لو جزئيا إلى هذه المأساة ، و لكنّه تمّ تخليدها بفضل اسهامات الشتات الأوكراني (diaspora ukrainienne)في الغر ب عموما، و في الولايات المتحدة الأمريكية خصوصا، إذ أن الفترة التي تلت استقلال أوكرانيا، أعادت إلى السطح هذه المسألة ، ليتم تصنيف هذه المجاعة من قبل الرواية الوطنية الأوكرانية على أنّها إبادة جماعية، كان هدفها القضاء على العرق الأوكراني، و ليست فقط جريمة ضد الإنسانية، على غرار الكثير من الجرائم التي شهدتها الفترة السوفييتية، و بخاصة في الفترة الستالينية (Applebaum، 2022، صفحة 25)

أمّا على الجانب الآخر من الحدود، أي في روسيا، فلم تعتبر هذه الكارثة الإنسانية كإبادة (génocide) على الإطلاق، لأنّه لم يكن الهدف منها (حسب الروس) القضاء على العرق الأوكراني بحد ذاته، بل كانت سياسة عامة تشمل طبقة بعينها، أي طبقة الكولاك، أو الملاك الصغار (dékoulakisation) ، بل يذهب البعض إلى اعتبارها جزءا من الصراع الطبقي ، وأن ما يؤكّد ذلك هو أن جمهورية كازاخستان السوفييتية عرفت سياسة مماثلة، قصد القضاء على نمط الإنتاج القائم على البداوة و الترحال (nomadisme pastorale) و ذلك لتبيث الرعاة أو البدو الرحل في تعاونيات فلاحية (sédentarisation). إذ أن الرواية الروسية تريد أن تحقّق هدفين أساسيين(Galia, 2022) ، و هما إظهار هذه المجاعة على أنّها نتيجة لسياسة سوفييتية عامة و ليست حكرا على الأوكران، و أنها كانت تكتسي طابعا إيديولوجيا بالدرجة الأولى، أي أنّ صنّاع القرار لم يتخذوا هذا القرار ضد الشعب الأوكراني برمته، بل كان ضد طبقة الملاك الصغار أو الكولاك، كطبقة تعتبرها السلطات السوفييتية آنذاك معطّلة و معرقلة للمشروع الاشتراكي السوفييتي، و هنا نلمس إرادة واضحة في إفراغ هذه المأساة من طابعها القومي، أي ترحيلها من طابعها القومي إلى البعد الطبقي، الذي لا يعير أدنى اهتمام للانتماءات العرقية و القومية، بل يسعى لتجاوزها، باعتبار القومية

حسب المنظور الماركسي عموما والستاليني على وجه التحديد وعي زائف (fausse conscience) ومآلها الزوال حتما على غرار غيرها من الانتماءات و الهويات المتعارضة مع الانتماء و الوعي الطبقي.

على عكس الجار الروسي، يتجسد هذا الحدث في الفضاء الأوكراني داخل العاصمة كييف. حيث أصبح المتحف المخصص للمجاعة في 8 أغسطس 2019، وفقًا لقرار وزارة الثقافة الأوكرانية، "**المتحف الوطني للإبادة الجماعية هولودومور**" الذي يؤكد على طابع الإبادة الجماعية وينفي المزاعم السوفييتية السابقة والرواية الروسية الحالية(Oscar, 2022) .

حيث يضطلع هذا المتحف بمهمة تربوية وتعليمية، وذلك بعقد دورات تدريبية متنوعة للأطفال واليافعين. أبرزها الدرس التفاعلي "**ما هي الإبادة الجماعية؟**" لتلاميذ المدارس الذين تتراوح أعمارهم بين 9 و11 سنة. حيث يتعلّم التلاميذ خلال الدورة التدريبية في المتحف، أصل ومعنى مصطلح الإبادة الجماعية. وفي هذا الدرس، يقوم التلاميذ بتحليل المراسيم والأوامر السوفيتية من 1932-1933 التي توجه مرتكبي المجاعة الكبرى. كما أنهم يشاهدون مقاطع فيديو لشهود توضح أعمال الإبادة الجماعية(Oscar, 2022) .

وعلى سبيل المقارنة والتشبيه، نلاحظ وبدون أدنى عناء، أنّ الاوكرانيين استفادوا من سياسة الذاكرة التي انتجتها السلطات الإسرائيلية لتخليد المحرقة اليهودية (la Shoah) لتخليد الهولودومور في الذاكرة الجماعية الأوكرانية أولاّ، و في توظيفها خارجيا، وذلك عن طريق مقابلة و مناظرة السياسات السوفييتية (الروسية) بالسياسات النازية (Barbara, 2012, p. 108). ، كما استفادوا من الطريقة التي اعتمدها الأرمن للتأثير على صنّاع القرار في الدول الغربية و جعلهم يتبنون الرواية الأرمينية بدلا عن الرواية التركية في توصيف أحداث العنف التي وقعت في أرمينيا ما بين ربيع 2015 و خريف 2016 . (Barbara، 2012)

تختلف الذاكرة اختلافًا كبيرًا باختلاف الأمة التي ترويها، ففي الجانب الأوكراني عرفت هذه المسألة مسارات تطورية منذ استقلال هذه الجمهورية، نلمسه من خلال تتبّع مسار تعامل وتعاطي السلطات الرسمية الأوكرانية مع قضية الهولودومور، ففي ولاية الرئيس الأول ليونيد كرافتشوك، أي أول رئيس لجمهورية أوكرانيا المستقلة حديثا عن الاتحاد السوفييتي، تم تنظيم أول يوم رسمي لإحياء ذكرى المجاعة الكبرى في عام 1993، والذي أقيم كرمز لأوكرانيا المستقلة من قبل الرئيس الذي خلفه في عام 1994 أي ليونيد كوتشما.

وكان التصريح الذي أدلى به الرئيس ليونيد كوتشما تأكيدا صريحا على أنّ الهولودومور كان إبادة حقيقية ضد الشعب الأوكراني إذ جاء فيه ما يلي: "**أو افق تمامًا على أن هذا كان عملاً مخططًا له، و أنه كان إبادة جماعية ضد شعبنا. لكنني لن أتوقف عند هذا الحد. نعم ضد شعبنا ولكن بتوجهات من مركز آخر**" (Barbara، 2012، صفحة 110) ، و عادة ما يقصد بالمركز في الخطابات السياسية بمركز اتخاذ القرار على مستوى أعلى هرم السلطة أي موسكو.

لقد كان هناك اعتقاد سائد لدى الكثير أنّ انتخاب الرئيس كوتشما سنة 1994 سيكون بداية لمرحلة جديدة من العلاقات الودّية بين أوكرانيا وروسيا، حيث أنّه وعد في برنامجه الانتخابي أن تصبح أوكرانيا جسرا يربط روسيا بأوروبا، مفادها إحداث توازن بين الطرفين يخدم المصالح العليا لأوكرانيا، بيد أنّ هذه

الوعود ، لم تكن في الحقيقة إلا استراتيجية انتخابية بحتة كان كوتشما يسعى من خلالها إلى استمالة الناخبين من الأصول الروسية أو الناطقين بالروسية و الذين يقطنون في الأغلب في المقاطعات و الأقاليم الشرقية من أوكرانيا، و ما يكشف زيف هذا الادعاء هو التحوّل الحاصل و التوجّه إلى خطاب مختلف تماما بعد فوزه، يؤكّد أكثر على القضايا التي تستثمر في البعد القومي والهوياتي، أي دغدغة الحس القومي لدى الأوكرانيين، و ليس هناك قضية يمكنها تحقيق ذلك بالتأكيد كقضيّة الهولودومور (Barbara، 2012، صفحة 112).

التفسير الذي قدمه بعض المؤرخين الأوكرانيين، يرى في الهولودومور جريمة نكراء نظمتها موسكو عن علم ضد الأمة الأوكرانية، وأصبحت من المواضيع الأساسية التي تدرج في كتب التاريخ الخاصة بمختلف أطوار التدريس. وبلغ استغلال المجاعة الكبرى ذروته بعد فوز فيكتور يانوكوفيتش في الانتخابات الرئاسية في 21 نوفمبر 2004. السنة التي اندلعت فيها "ثورة برتقالية" في جميع أنحاء غرب البلاد بقيادة الرئيس المستقبلي فيكتور يوشينكو (Applebaum، 2022، صفحة 113).

ولكن في عام 2003 ، احتلت المجاعة الكبرى لأول مرة مركز الصدارة على الساحة السياسية والدبلوماسية ، خلال الذكرى السبعين للمأساة ، في سياق صراع سياسي حاد، ففي مايو 2003 ، أصدر البرلمان الأوكراني "**نداءً إلى الشعب الأوكراني" وصف هولودومور بأنه "إبادة جماعية ضد الشعب الأوكراني**". مشبعاً بالخطاب القومي الذي سيصبح فيما بعد من صلاحيات التحالف البرتقالي، نص النص على أن المجاعة يجب "**إدانتها علناً من قبل المجتمع الأوكراني والمجتمع الدولي كعمل من أعمال الإبادة الجماعية، من بين أعظم أعمال الإبادة في العالم**". من حيث عدد الضحايا، لتعترف كل من كندا وأستراليا والولايات المتحدة بهذه المجاعة على أنها إبادة جماعية. على الرغم من أن الأمم المتحدة، لم تكن ترغب في تبني قرار بناءً على طلب كييف، فقد أصدرت مع ذلك إعلانًا مشتركًا في ذكرى المجاعة وقعته 36 دولة (Barbara، 2012، صفحة 113)

كان وصول فيكتور يوشينكو إلى السلطة في أعقاب الثورة البرتقالية عام 2004 بمثابة تطور واضح للميول القومية في مجال الذاكرة. لم يكن ذلك دون التأثير على التعامل مع موضوع الهولودومور، التي ارتقت إلى مرتبة المأساة الوطنية، التي لا ينبغي أن يحتفل الأوكرانيون بذكراها فحسب، بل يجب على شعوب العالم أن تعترف بها على أنها إبادة جماعية مماثلة للمحرقة (الهولوكوست). وهو ما يسمح بانتحال دور الضحية بامتياز للاضطهاد السوفييتي (الروسي في الإدراك الأوكراني).

لقد حاول الرئيس يوتشنكو، الذي جاء على أعقاب الثورة البرتقالية، أن يصدر قانونا يجرّم إنكار هذه المأساة في الفضاء العام (déni public du Holodomore) لكنّ محاولاته باءت بالفشل، وهنا نلاحظ التأثر الواضح بالقانون الفرنسي الذي يجرّم إنكار المحرقة اليهودية ويعدّها نوعا من أنواع العداء للسامية (antisémitisme)، والتي بسببه عوقب الكثير من الكتّاب والمفكّرين الكبار وعلى رأسهم المفكّر البارز روجي غارودي (Roger Garaudy) الذي حرم من نشر مؤلفاته ومقالاته التي تتناول المسألة الصهيونية.

إذ يعتقد الساسة الأوكرانيون أنّ استغلال موضوع الهولودومور على هذا النحو، سيغذي وينّمي، العداء لروسيا ويرسّخ الاتجاه السياسي الذي يسعى للانخراط في المنظومة الغربية، ويكسبهم ولاء فئات واسعة من الشعب الأوكراني الذي أصبح يرى في التاريخ السوفييتي تاريخا استعماريا وفي سياساته سياسات روسية معادية للهوية والثقافة الأوكرانية.

ولعلّ مسألة التوظيف السياسي لهذه المسألة بلغت أوجّها في خضّم المناخ السياسي الذي أفرزته الثورة البرتقالية، ويظهر ذلك جلّيا في النزوع إلى تضخيم أعداد ضحايا هذه المأساة الوطنية، وتجدر الإشارة إلى أنه في أوكرانيا، في عهد الرئيس يوشينكو، أي حتى نهاية عام 2009، كانت الأرقام التي يتم طرحها بشكل عام في وسائل الإعلام والدوائر السياسية القريبة من الرئاسة تتراوح بين سبعة إلى عشرة ملايين (حتى اثني عشر) مليونًا. ضحايا مجاعة 1932-1933. لمراجعة نقدية لعدد ضحايا المجاعات السوفيتية المختلفة في أوائل الثلاثينيات (Wheatcroft, 2004, p. 86)

بالنسبة لروسيا، حدثت المجاعة بالفعل، ولكن ليس فقط في أوكرانيا وهي بالتأكيد ليست مقصودة. كما يرى المؤرخ الروسي فيكتور كوندراتشين Viktor Kondrachine، على سبيل المثال، و الذي يدحض الطابع العرقي للمجاعة لأنها أثرت على كل من أوكرانيا وكازاخستان ولم تكن أبدا موجهة ضد الأوكرانيين كقومية أو عرق وهوما ينفي طابع " الإبادة العرقية" عن هذه المجاعة. في الواقع، يكمن أحد التوترات السياسية-التذكارية الرئيسية في موضوع تصنيف "الإبادة الجماعية" لهذا الحدث. حال دون تحقيق إجماع داخل المجتمع العلمي، فلا تزال هذه المجاعة تثير الكثير من الجدل إلى غاية يومنا هذا(Antilogus, 2021) .

وعليه يجب ربط تطور سياسات الذاكرة بتغييرات مؤسسية جذرية. إذ أعاد وصول فلاديمير بوتين إلى السلطة في عام 2000، التذكير والتركيز على مقولة "الماضي البطولي المجيد" للفترة السوفييتية إلى جدول الأعمال، وأعاد تأهيل جزء كبير من التراث التذكاري السوفياتي (Emilia, 2013, p. 68). في ظل هذه الظروف، تتوقف إدانة الجرائم الستالينية عن جدول الأعمال الحكومي وفي جلسات البرلمان وانكفأت بشكل كبير في المجتمعين العلمي والمدني، إذ أصبح ينظر إلى كل حملة ترمي إلى انتقاد السياسات السوفييتية – وبخاصة الستالينية-تهديدًا لتماسك الدولة الروسية الجديدة. وهنا يصبح أدنى تناول للمجاعة الكبرى في الكتب المدرسية الروسية منعدما انعداما كلّيا.

ومع تصاعد الحملة الأوكرانية الهادفة إلى ترسيخ موضوع الهولودومور في القوانين و المقررات الدراسية و ترسيم هذه الذكرى في الاحتفالات الوطنية ، و بخاصة في فترة الرئيس يوتشينكو الموالي للغرب، قامت السلطات في روسيا بإجراء شديد الرمزية و المعنى، حيث أقدمت السلطات سنة 2006 بإعادة غلق الأرشيف السوفييتي الذي يتناول هذه المأساة، فأصبحت وظيفة المؤرخين و الباحثين، سواء الروس أو الأوكرانيين أو حتى المهتمين بالدراسات السوفييتية من خارج هاتين الدولتين، صعبة للغاية، و هو ما أشار إليه الباحث الفرنسي Nicolas Werth المختص في هذا المجال حيث يقول: **"كونك مؤرخا في روسيا، هذا عمل صعب للغاية"** (Antilogus, 2021) .

لقد تغير الخطاب السياسي الرسمي منذ مجيء الرئيس فلاديمير بوتين، بصورة جذرية وبطريقة معاكسة كلّيا عمّا كان عليه في فترة البريسترويكا، التي ميزت السنوات الأخيرة للحكم السوفييتي، أو حتى العقد الذي تلي تفكّك الإمبراطورية السوفييتية، فبعيدا عن الخطاب الذي أعتمده كلّ من ميخائيل غورباتشيف و بوريس يلتسين و الذي يتبنّى سياسة القطيعة و محاولة التقارب مع الغرب، و محاولا التنكّر من كلّ السياسات السابقة، و بخاصة السياسات الستالينية التي تمّ وصمها بأقبح الصفات، جاء الخطاب الجديد الذي تبنّاه فلاديمير بوتين ليعيد صياغة محتوى جديد يرفض القطيعة و التنصّل من سياسات الماضي برمّتها، بل يسعى إلى تمجيدها و إعادة إحيائها، منطلقا من قاعدة أساسية نصت عليها إحدى خطبه "**لإحياء الوعي الوطني ، نحتاج إلى إعادة الروابط بين العصور**" (Emilia، 2013، صفحة 69) .

واتضح هذا النهج الجديد بصورة أكثر جلاء في مسألة أخرى أثارت جدلا وتباينا في الرؤى وسياسات الهوية والذاكرة في كل من أوكرانيا وروسيا الفيدرالية، وهي الطريقة التي تعامل بها الطرفان مع موضوع " **الحرب العالمية الثانية**".

4 -الحرب العالمية الثانية في سياسات الهوية والذاكرة: الرهانات والتوظيفات السياسية.

لقد جعلت روسيا الحرب وإحياء ذكراها العمود الفقري لهويتها الوطنية. إذ لا يوجد هناك حدث تاريخي له أهمية مماثلة لتلك الخاصة بـ "الحرب الوطنية العظمى" (la grande guerre patriotique) التي يتم الاحتفال بانتصار روسيا (الاتحاد السوفييتي) فيها في 9 مايو على نطاق أوسع. حيث عرفت روسيا إعادة تنشيط كبيرة لذكرى الانتصار في الحرب العالمية الثانية، منذ وصول فلاديمير بوتين إلى السلطة. حيث أصبحت لهذه الذكرى قداسة متزايدة ترقى إلى مستوى الأعياد الدينية الأرثوذوكسية (culte orthodoxe) فهي تساهم في تعبئة الأفراد وإضفاء الشرعية على سياسات الحكومة، كما ترشد وتوجّه قراءات التاريخ الكامل للقرن العشرين الروسي والسوفيتي، نحو اتجاهات محدّدة تخدم توجهات السلطة السياسية.

- **عبادة النصر السوفييتي ومراجعاته:** تعتبر الحرب العالمية الثانية بالنسبة للروس مأساة شعبية عظمى، أودت الحرب بحياة ما يقرب من 27 مليون ضحية في الاتحاد السوفييتي وتسببت في دمار لا حصر له (KASTOUEVA-JEAN, 2020, p. 3) ، ففي الفترة السوفييتية كان موضوع التخليد انتقائيا ، خاضعًا للعديد من المحرمات. تم الاحتفال به لأول مرة بطريقة رصينة للغاية ، دون إثارة احتفالات عامة كبيرة ، وكان موضوعا لتمجيد متزايد ، مع إنشاء عبادة حقيقية للنصر ابتداء من الستينيات وبخاصة في عهد الرئيس ليونيد بريجنيف، لأنّ فترة الرئيس الذي سبقه أي نيكيتا خروتشيف كانت مرحلة اتسمت بنقد صارخ للممارسات الستالينية (déstalinisation) بالرغم من أنّ خروتشيف كان أحد المساهمين الكبار في هذا النصر باعتباره كان الأمين العام للحزب الشيوعي لجمهورية أوكرانيا السوفييتية التي كانت مسرحا أساسيا للقتال والمعارك التي جمعت الجيش الأحمر و الجيوش النازية الغازية، و كأنّ خروتشيف لم يكن يريد أن يصبح تخليد هذه الذكرى مناسبة لتبييض صورة جوزيف ستالين. كما لم تفتقر مسألة تخليد ذكرى الحرب العالمية الثانية من التحديات والمراجعات التي أثارتها سياسة اليريسترويكا في أواخر الفترة السوفييتية، حيث شكّلت هذه الفترة لحظة فارقة سمحت للشعوب السوفييتية قاطبة بمعرفة حجم

التجاوزات و القمع الذي لحقها بسبب السياسات الستالينية التي لم تكن تختلف في جوهرها عن ممارسات جيوش الاحتلال الألمانية، حيث بدأت كتابة العديد من الصفحات الفارغة في تاريخها ، مثل الأسر والتعاون مع العدو ، وترحيل "الأشخاص المعاقبين" وعمل الجيش الأحمر في أوروبا الشرقية ، دون صعوبة. ، لذلك كانت الرؤية البطولية مؤثرة للغاية. من هذه التجربة. (Galia A. , 2019, p. 45)

تمت إعادة تنشيط هذه الرؤية إلى حد كبير بعد الدور الذي اتخذته الحرب العالمية الثانية مع مجيء فلاديمير بوتين في أوائل العقد الأول من القرن الحالي، أدى إلى إعادة تأهيل التجربة السوفيتية لإدراجها في خطاب وطني، وحتى قومي علني، والذي يستغل التاريخ لجعله مصدر شرعية وأداة تعبئة، وبينما تستمر الظواهر الرئيسية للقرن العشرين (الثورة، الستالينية ، البيريسترويكا) في إحداث الانقسام ، تشكل "الحرب الوطنية العظمى" العنصر الوحيد التوافقي الكامل ، وهو حجر الأساس الحقيقي لهذه الهوية الوطنية المتضخمة.

في القراءة الغائية، تعمل الحرب على إعطاء معنى لكل ما يسبقها ويتبعها. وعلى هذا الأساس، فإن بعض المؤرخين أو الصحفيين أو الشخصيات السياسية يعيدون تأهيل ستالين ويبررون سياساته ليصبح نظام التعاونيات السوفييتية القسري (la collectivisation forcée) ما هو إلا تضحية على مذبح النصر والغولاغ (نظام النفي السوفييتي الذي خلّده الكاتب المعارض الروسي الكبيرألكسندر سولجنستين في مؤلفه الشهير (l'archipel du Goulag) هو شكل متطرف من تعبئة الموارد.، ضروري للدفاع عن وحدة و بقاء الدولة السوفييتية. ليصبح عام 1945 بداية جديدة لقوة الدولة وشرعية متجددة للنظام السياسي، بعد أن **"أنقذت العالم من الفاشية"** (Galia A. , 2019, p. 54)

وفقًا للصيغة المقبولة، يبدو أن الأمة الروسية دخلت بشكل نهائي إلى معسكر "قوى الخير"، مما يجعل أي محاولة لإعادة تقييم دورها أثناء النزاع أمرًا غير مقبول من أي تحدٍ لسياساتها الحالية.

إن لهذا التقديس للحرب العالمية الثانية عواقب عديدة على العمل التاريخي والعلاقات الدولية. أولهما تقليص مجالات الممكن من حيث البحث الأكاديمي وتمثيلات الحرب في الإعلام والفن. أصبحت الحرية مهددة بشكل خاص منذ اعتماد قانون في عام 2014 يعاقب على "**إنكار الحقائق التي أكدها حكم محكمة [نورمبرغ] فضلاً عن نشر معلومات كاذبة معروفة عن أفعال اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية خلال الحرب العالمية الثانية** (KASTOUEVA-JEAN, 2020, p. 8) حيث . يستهدف هذا القانون بشكل خاص أي محاولة للتشكيك في الدور الذي لعبه الاتحاد السوفيتي في اندلاع الصراع العالمي، أو أعمال الجيش الأحمر في أوروبا الشرقية. هذه الأسئلة الأخيرة، التي تعتبر حساسة بشكل خاص، ولا تستنفد، مع ذلك، قائمة الموضوعات التي تجد نفسها اليوم مستبعدة بشكل متزايد من أي نقاش، مثل حصار لينينغراد، الذي أصبح من المستحيل انتقاد التكلفة البشرية له، أو دوافع أسرى الحرب السوفييت الذين جندوا في جيش الجنرال فلاسوف للقتال إلى جانب الألمان.

في 5 مايو 2014، وقع فلاديمير بوتين على قانون يجرم "**التعدي على الذاكرة التاريخية للحرب العالمية الثانية**"، والذي أقره البرلمان في 29 أبريل. في نسخته الأولى، تم تقديمه إلى المشرع في 6 مايو 2009. هذا التوافق في بداية شهر مايو ليس مصادفة ولا يخلو من المعنى. إذ يعتبر يوم النصر على ألمانيا النازية، الذي

يُحتفل به في روسيا في 9 مايو، ويعود تاريخ هذه العبادة إلى الستينيات، وقد تحولت منذ وصول بوتين إلى السلطة في عام 2000 إلى أسطورة عن أصول روسيا ما بعد الاتحاد السوفيتي(Nikolay, 2014) .

في التسعينيات، سعت حكومة الرئيس بوريس يلتسين إلى "فكرة وطنية" من التراث الثقافي الروسي. على وجه الخصوص، حاول فيها إحياء عبادة الشاعر العظيم ألكسندر بوشكين. في عهد فلاديمير بوتين، حلت الحرب محل الأدب كموقع مميز للذاكرة الوطنية. في كل عام، في شهر مايو ، تحدث اشتباكات عامة بين منظري النظام ، الذين يحاولون تبرير فكرة الدولة القوية والدفاع عن ذاكرة الستالينية بمساعدة أسطورة الحرب ، ومجموعة صغيرة من المثقفون ، الذين يصرون على الطبيعة الخادعة لسياسات الذاكرة الرسمية. ولد مشروع القانون التذكاري من هذه المناقشات الداخلية، وكذلك الخلافات حول (KASTOUEVA-JEAN، 2020، صفحة 77)

تسعى سياسة الذاكرة الروسية لتفسير التاريخ من أجل توجيه المشاعر الوطنية نحو دعم السلطة. ففي عام 2009، أنشأت "**لجنة مكافحة تزوير التاريخ على حساب مصالح روسيا**"، والتي كان الغرض منها، كما يوحي بذلك اسمها ، هو تزوير التاريخ ، ولكن لصالح الحكومة، إلاّ أنّ هذه اللجنة سرعان ما تمّ حلّها في عام 2013 ،(Olivier, 2017) لتركّز الحكومة على قضية التعليم في مكافحة "التزوير" في البلاد ، ولا سيما من خلال إنشاء كتاب تاريخ مدرسي فريد من نوعه. لكن إعادة القراءة الانتقائية للتاريخ هي أيضًا نتيجة العديد من البيانات العامة.

الحرب العالمية الثانية هي واحدة من الموضوعات الرئيسية التي تخضع لشكل من أشكال المراجعة التاريخية من جانب الكرملين. ففي عام 2014، كسر فلاديمير بوتين أحد المحرمات من خلال الدفاع عن المعاهدة الألمانية السوفيتية في أغسطس 1939، أو ما يسمّى ميثاق مولوتوف-ريبنتروب، على اعتبار أنها كانت في مصلحة روسيا. وبقيامه بذلك، فإنه يعني أنه لا ينبغي مقاومة هتلر في عام 1939، لأن هذا ما فعله ستالين، الأمر الذي جعل مدير مكتب نيويورك لمعهد الديمقراطية والتعاون (وكالة حكومية روسية لها مكتب في باريس أيضًا) يصرّح بتهكّم بأن: " **هتلر كان حتى عام 1939 هو `` هتلر الصالح** "(Galia A. , 2022, p. 70)

في الوقت نفسه، يواصل النظام الروسي الاعتماد على ذكرى الحرب الوطنية العظمى في محاولته الحالية لإدراج الستالينية بشكل إيجابي في التاريخ الروسي، وكذلك على العادات الخطابية الموروثة عن الاتحاد السوفيتي، ولا سيما استخدام « النازية "أو" الفاشية كتهمة تستخدم لتشويه سمعة معارضي النظام. وهكذا، خلال الثورة الأوكرانية عام 2014، وصفت الدعاية الروسية جميع المتظاهرين بـ "الفاشيين" أو "النازيين الجدد"، مسلطة الضوء على الوجود (المؤكد) بين معارضي النظام من أعضاء حزب اليمين المتطرف سفوبودا.(Korine, 2022) ، وهو تكتيك قديم لمحاولة ربط الحركة القومية بكاملها بأعضائها الأكثر تطرفاً، وكأن جميع المتظاهرين يتشاركون في دوافعهم. فمن الواضح أنه لا ينبغي أن ينخدع أحد بهذا التلاعب الخطابي، لكنه حاضر جدًا في الخطاب الناشئ عن موسكو وتوابعها الغربية. التي نسمعها بانتظام عن "الفاشيين في السلطة في كييف". وهذا بينما لم يحصل مرشح سفوبودا إلاّ على 1.16٪ فقط من الأصوات خلال الانتخابات الرئاسية الأوكرانية لعام 2014، بعد سقوط فيكتور يانوكوفيتش، الأمر الذي

يعطي فكرة عن جاذبية اليمين المتطرف مع الشعب الأوكراني ... من ناحية أخرى، كان اليمين المتطرف الأوروبي بأكمله (بما في ذلك الفاشيين والنازيين الجدد) هو الذي استدعته موسكو للعمل ك "مراقب" في استفتاءها الزائف الذي نُظم في شبه جزيرة القرم في عام 2014. وهكذا يمكننا أن نرى بوضوح التلاعب الخطابي بفضل يمكن لموسكو أن تصفهم بلا خجل معارضيها بأنهم "فاشيون" و "نازيون" بينما تدعم الحقوق الأوروبية المتطرفة.(Korine, 2022)

فبعد ما يقرب من 80 عامًا من الأحداث، يبدو أن "الحرب الوطنية العظمى" هي محك الهوية الروسية في البحث عن المعالم، والمصدر الوحيد للتماسك في مجتمع أضعفته الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية في ظل دولة تتجه للاستبداد المطلق بشكل متزايد وتفتقر إلى الشرعية. حيث يراقب الرئيس بوتين عن كثب كتابة "تاريخ الحرب المقدّس" وبالتالي الذي لا يمكن المساس به، لدرجة التشريع لقوانين تدين وتجرّم انتهاكات السرد السائد الموصوف على أنه "تدنيس" أو "تجديف" أو "تزوير" "من المحتمل أن يضر بمصالح روسيا (راجع المرسوم الجمهوري الصادر في 15 مايو 2009).

وهو ما يذكرنا بالممارسات السوفييتية: حين شجب ليونيد بريجنيف كتاب أرخبيل جولاج (1973) الذي ألّفه ألكسندر سولجينتسين ، **باعتباره "تدنيسًا لذكرى ضحايا الحرب الوطنية العظمى"**. وبالتالي، وعلى الرغم من التقدم الذي أحرز في التأريخ الحديث الذي يحاول، في ضوء المحفوظات، تقديم صورة للحرب أكثر تباينًا بشكل لا نهائي من صورتها البطولية، فإن التمثيل الرسمي والشعبي لهذه الفترة، الذي يتم نقله في الكتب المدرسية والمدارس ووسائل الإعلام التي تسيطر عليها الدوائر الرسمية، لا يزال قريبًا جدًا مما كان سائدًا في الحقبة السوفيتية: كنسخة أيديولوجية قوية ومبتورة وعاطفية.(TODOROVA, 2017)

إن توظيف هذه العناصر التاريخية لم يكن اعتباطيا أو جزافيا بل كان نتيجة لقناعة راسخة بقدرتها على تشكيل وعي جماعي جديد يصبّ في خدمة السلطة الحاكمة، فالتركيز على تمجيد " الحرب الوطنية الكبرى" يحقّق للنظام السياسي جملة من الأهداف، أهمّها:

- ترسيخ فكرة وحدة الشعب والدولة ضد الأعداء الخارجيين، وهي نفس الفكرة التي استدعاها ستالين في مواجهة الغزو النازي، وعليه فتركيز الخطاب السياسي الروسي الحالي على أنّ " العمليات الخاصة " التي تقوم بها القوات الروسية في أوكرانيا منذ فيفري 2022 تنصب أساسا في القضاء على القومية النازية المتطرفة المتمثّلة في أنصار القومية الأوكرانية المعادية للتأثير والنفوذ الروسي، تماما كما حاربت القوات السوفييتية الجيوش النازية والمتحالفين معها من القوميين الأوكرانيين.

- يؤدي تمجيد بطولات الجيش السوفييتي و التأكيد على الدور القيادي لجوزيف ستالين إلى تبني طرح مختلف عن الفترة السوفييتية، يؤدي إلى طمس الحقائق و تغييبها، بحيث تصبح النسخة الجديدة من المرويات التي تتناول هذه الفترة، نسخة منقحة معدّلة تنظر إليها بنظرة إيجابية و تنفي عنها الجرائم و الإبادات المقترفة طوال عقود من الزمن، أو على الأقل تبريرها بجعلها نتيجة لضغوط و حصار دولي خانق واستجابة لتحدّي البقاء و إثبات قوة الأمة (السوفييتية/الروسية)، واسقاط هذا المعنى على المرحلة الراهنة

يؤدي بالضرورة إلى محاكاة حدّية خالصة، لا تؤمن بالنسبية اطلاقا، و لهذا بات تمجيد شخصية ستالين وإعادة الاعتبار لشخصه من قبل الرئيس فلادمير بوتين يصبّ مباشرة في مسعى تعظيم قوة الدولة و تحصينها من كل أشكال الرفض و المعارضة و إكسابها شرعية عظمى، كونها الحامي و الضامن و المحافظ على سيادة روسيا و أمنها ضد الخطر القادم من الغرب أساسا.

- يؤدي هذا الخطاب إلى تبرير سياسة الانتشار واستعادة النفوذ في الفضاء السوفييتي أو ما يسمّى في الأدبيات السياسية الروسية " الغريب المجاور"، بدأ هذا مع الحرب في جورجيا سنة 2008، إذ اعتبرت روسيا أن الانكفاء الروسي والتنازل عن المصالح الجيوسياسية الروسية مقابل الانخراط في المنظومة الغربية، وهو ما كانت السياسة الخارجية في فترة التسين تتوخاه، قد أدّى إلى نتائج وخيمة، ما جعل الرئيس بوتين يعتبر انهيار الاتحاد السوفييتي أكبر كارثة جيوسياسية حصلت في القرن العشرين.

في الجهة المقابلة، لا ينظر الأوكرانيون إلى الحرب العالمية الثانية بنفس المنظار الذي يستعمله الروس، فهم يعتقدون أنّه تم حجب دور أوكرانيا في الحرب العالمية الثانية بسبب الأساطير والأكاذيب والدعاية الروسية. ومعظم الجدل حول هذا الأمر يستبعد الفكرة الرئيسية: أوكرانيا لم تكن تقاتل عدّوا واحدًا بل عدوين في وقت واحد. المحتل الروسي والمحتل النازي.

تعتمد الرواية الأوكرانية الجديدة للحرب العالمية الثانية على تكذيب الرواية السوفييتية والروسية، على وجه السواء، بحيث ستصبح الفظائع التي ارتكبها النظام الستاليني معروفة في وقت لاحق، بعد أن تعرض ملايين الأوكرانيين للاضطهاد والقتل. عندما جاءت الحرب العالمية الثانية إلى الأراضي الأوكرانية، كان الناس قد عانوا بالفعل عشرين عامًا من الحكم الشيوعي. هولودومور 1932-33، الإرهاب العظيم في 1937-1938، أظهر أن الحكومة السوفيتية لم تكن مجرمة فحسب، بل كانت كارثية من الناحية الاقتصادية أيضًا. جعلت نصف الشيوعيين الأوكرانيين يتخلون عن معتقداتهم بعد هذه الفترة المظلمة من القمع. (Marouchevska, 2022)

تعترف الرواية الأوكرانية للأحداث الحاصلة أثناء الحرب العالمية الثانية أنّ الجزء الغربي من أوكرانيا، الذي تم ضمه عام 1939، من قبل هذا النظام قاد مقاومة قوية معادية للشيوعية. وتجدر الإشارة إلى أن الحركة لم تقتصر على النخبة المضطهدة. كما أن المزارعين، الذين عانوا من أهوال التأميم والتعاونيات الفلاحية السوفييتية المقيدة لحقوقهم في العمل والتملّك، رفضوا بشكل جذري السياسات السوفييتية المتلاحقة.

و بنفس الطريقة التي يبرر بها المؤرخون الروس اتفاقية مولوتوف- ريبنتروب(Pacte Molotov-Ribbentrop) السرية سنة 1939 و التي تقضي باقتسام بولونيا و عدم اعتداء كل طرف على الطرف الآخر، و الذي كان من نتائجه ضم الأجزاء الأوكرانية التي كانت في حوزة بولونيا إلى الاتحاد السوفييتي، حمل المؤرخون الأوكرانيون على عاتقهم مهمة تبييض صفحات قاتمة من التاريخ الأوكراني على غرار تبرير بعض الجرائم التي قام بها القوميون الأوكران المتعاونون مع الجيش النازي ضد العديد من الأقليات العرقية

القاطنة في الأراضي الأوكرانية، فحسبهم كان هدف OUN (منظمة القوميين الأوكرانيين) هو استقلال أوكرانيا. وأنّ التقارب مع ألمانيا استجاب للقيود الظرفية أكثر من الأهداف الجيوسياسية. لتحقيق الاستقلال، كان على القوات الأوكرانية هزيمة الجيش الأحمر في الشرق باستخدام الموارد العسكرية للجيش الألماني. (Marouchevska، 2022).

عملت سياسة الذاكرة الأوكرانية على تقديم نسخة منقحة ومعدّلة عن الرواية الروسية التي ضخّمت الدور الروسي في الانتصار على النازية ووصمت الشعوب الأخرى بالتعاون والتخابر مع المحتل النازي، فحسب الرواية الأوكرانية لتاريخ الحرب العالمية الثانية فلقد تم تزوير تاريخ النضال الأوكراني من أجل الاستقلال خلال الاتحاد السوفيتي. حيث تم تصنيف ستيبان باندیرا (Stepan Pandera) والقوميين الآخرين على أنهم أعداء. تم إخفاء حقيقة الوضع في أوكرانيا عن طريق الدعاية الشيوعية. أعلنت موسكو نفسها المنتصر الوحيد في الحرب، متجاهلة حقيقة أن معظم المعارك على الجبهة الشرقية دارت على الأراضي الأوكرانية. أخفى النظام الشيوعي، حسبهم، جرائم الحرب التي ارتكبها الجيش الأحمر في أوكرانيا، لا سيما تدمير وسط مدينة كييف أو حرق الكنائس أو مذابح المدنيين. بعد هزيمة ألمانيا النازية، أصبحت أوكرانيا جزءًا من الاتحاد السوفيتي وأعيد كتابة تاريخ الأمة بأكمله.

وفي ردّه على تركيز الدعاية الروسية على وصم المقاومة الأوكرانية بالنازية يرى المؤرخ الأوكراني ومدير معهد الذاكرة الوطنية في كييف Volodymyr Viatrovytch أنّه: «إذا **كانت روسيا السوفييتية هي المنتصر الوحيد على النازية، فلها الحق في فعل أي شيء. هذا الاحتكار للنصر مهم أيضًا لروسيا الحديثة، لأنه يساعد في التستر على جرائمها، إنه خطاب دعائي بسيط ولكنه فعال: إذا كنا معاديين للنازية، فإن كل من يقف ضدنا هو نازي**".(Wieder, 2022)

تتسق سياسة الذاكرة في أوكرانيا، و بخاصة تلك المرتبطة بالتأريخ للحرب العالمية الثانية بسياسة أشمل، يمكننا تسميتها بسياسة اجتثاث الإرث الشيوعي (politique de décommunisation) التي يراها الكثير من الساسة و النخب العلمية في أوكرانيا واجبا وطنيا يتماهى مع مطلب الاستقلال و السيادة و ترقية الحس القومي و الوطني الأوكراني(MAKAROV, 2022) ، باعتبار الإيديولوجية الشيوعية كانت بالنسبة للروس "حصان طروادة" فعّال، للتغطية على ما كان يسمّى آنذاك (شوفينية الروس الكبار chauvinisme grand-russe).

و في حقيقة الأمر، هناك قدر كبير من الواقعية و المنطق في الرؤية الأوكرانية، فلقد شكّلت السياسات السوفييتية، في أغلب مراحل الاتحاد، فرصة لتحقيق هيمنة للعرق و اللغة الروسية، مستغلة الخطاب الشيوعي المعادي للانتماءات القومية و العرقية و لكل أشكال الولاءات الدينية و الثقافية ، و الذي يعتبرها " وعيا زائفا fausse conscience" منافسا للوعي الحقيقي أي " الوعي الطبقي" ، و هذا ما جعل القوميين الأوكرانيين المتطرفين سواء في الفترة السوفييتية أو بعد استقلال أوكرانيا يعتبرون الأحزاب الشيوعية المحلّية أحزابا عميلة لروسيا ، بنفس الطريقة التي يعتبر بها الروس القوميين الأوكرانيين كإحدى مخلّفات الفاشية و النّازية.

في ديسمبر 2018 ، أصدر البرلمان الأوكراني الأعلى (Rada) قانونًا يوسع مكانة المحاربين القدامى لتشمل جميع أعضاء حركتي OUN ومقاومي UPA اللتان تعتبرهما الرواية التاريخية السوفييتية و الروسية الحالية حركتان فاشيتان متخابرتان مع العدو الألماني و مسئولتان عن جرائم إبادة و جرائم ضد الإنسانية، (MAKAROV، 2022) و حتى و إن اشترط البرلمان الأوكراني أن لا يمس هذا القانون من تبث ارتكابه لجرائم من هذا النوع، إلاّ أن هذا سيضع نهاية للجدل القديم حول الماضي الأوكراني، و يجعل من الرواية الرسمية الجديدة سببا في تعميق و تأجيج حرب الذاكرة التي ستبقي الصراع بين روسيا الاتحادية و جمهورية أوكرانيا محتدما للغاية، كانت آخر أطواره اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية.

5- الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى ملاحظات ونتائج ذات أهمّية بالغة، تسمح بفهم أكثر عمقا لطبيعة الصراع الحاصل اليوم في أوكرانيا، حيث أثبتت هذه الدّراسة أنّ التركيز على سياسات الهوّية والذاكرة، لم يكن اعتباطيا أو جزافيا، بل إنّه ينطلق من قناعة راسخة بقوة عنصري الهوية والقيم في تحديد الإدراك وتوجيه السلوك السياسي، كانت موجودة قبل البدء في هذا العمل، وازدادت قوة ورسوخا مع تقدّمه بشكل مطردّ، وهي تشكّل في الأساس محاولة للتخلّص من المقاربات التفسيرية التي تختزل حقيقة الصراع الأوكراني الروسي في جوانبه الاستراتيجية العسكرية أو الاقتصادية.

وإذا كانت الدّراسة لا تنفي بتاتا، الدور الذي تلعبه الاعتبارات الاستراتيجية والاقتصادية في تفسير أسباب الصراع الحاصل، إلاّ أنّ فهم المحدّدات القيمية والثقافية وعناصر الهوية القومية-كما تعتقد المقاربة البنائية الاجتماعية-كفيل بتحديد أدّق للبيئة الإدراكية لدى الأطراف المتصارعة.

إنّ الاعتماد على المقاربة البنائية يأتي في سياق معرفي يرفض المسلّمات الواقعية التي ترى في المصلحة القومية معطى ثابتا وجامدا ومجردا عن الاعتبارات الإنسانية والقيمية، كما يرفض تناول مسائل شديدة التعقيد بمقاربات وضعية عقلانية، لا تستطيع التمييز بين سلوك اقتصادي شديد البساطة وسلوك سياسي تتحكّم فيه اعتبارات ومقتضيات عديدة.

أظهرت الدّراسة أنّ للدولتين، أوكرانيا وروسيا، سياستين للذاكرة وروايتين للأحداث المشتركة مختلفتين ومتعارضتين إلى أقصى حدود التعارض، فما تراه أوكرانيا استعمارا واضطهادا تنظر إليه روسيا نظرة إيجابية ومصدرا للفخر والاعتزاز القومي.

ارتبط تاريخ أوكرانيا منذ عشرة قرون بالتأثير والنفوذ الروسي الطاغي، كاد في كثير من الفترات أن يلغي الأمّة الأوكرانية، لولا صمود الشعب الأوكراني ودفاعه المستميت عن هويته ولغته، وبما أنه لا يمكن لهذه الدراسة أن تستنطق كل القضايا التي تناولتها سياسات الذاكرة في البلدين، اكتفت بتناول مسألتين أساسيتين، يعتقد كل الباحثين في العلاقات الروسية الأوكرانية أنهما أكثر القضايا حساسية واستدعاء للتنافر و الانكفاء على الذات في البلدين، ألا وهما المجاعة التي ضربت أوكرانيا في مستهل ثلاثينيات القرن العشرين بسبب سياسات التأميم الزراعي التي نفذتها السلطات السوفييتية وراح ضحيتها الملايين من المواطنين الأوكرانيين ، و الحرب العالمية الثانية ، التي جرت أعنف أطوارها في الأراضي الأوكرانية التي

خضعت لاحتلال سوفييتي بفعل إلحاق وضم أقاليم أوكرانيا الغربية و التي كانت إلى غاية 1939 تابعة لبولونيا، كنتيجة مباشرة لتطبيق اتفاقية مولوتوف- ريبنتروب السرية ، ثم لغزو نازي ابتداء من سنة 1941 .

إنّ المدقّق في الروايتين الرسميتين لكل من أوكرانيا وروسيا ، سيجد أنّ الأوكرانيين يعتبرون المجاعة التي حلّت ببلدهم بسبب السياسات الزراعية الستالينية ، ماهي في حقيقة الأمر إلا إبادة عرقية كانت الغاية الأولى منها القضاء على أكبر عدد من الأوكرانيين ، بينما يتم تصويرها من قبل الروس على أنّها نتيجة لسياسة عامة شملت أجزاء مختلفة من الاتحاد السوفييتي و لم تكن مقتصرة على البلاد الأوكرانية ، فعمليات التأميم و تأسيس التعاونيات الفلاحية و القضاء على الملكية الخاصة عرفتها كل جمهوريات الاتحاد السوفييتي، فهي حسبهم جاءت لقضاء على طبقة الملاك الصغار (les koulaks) وليس على العرق الأوكراني، لتنفي بذلك الطابع المتعمّد لهذه السياسات، بل إنّ الرواية التاريخية الروسية الجديدة أصبحت أكثر ميلا لتبرير السياسات الستالينية، لتصبح المنافي القسرية و المجازر المختلفة التي تمّت في عهده الضريبة التي فرضتها ظروف الاتحاد السوفييتي وضرورات التنمية و تسريع التصنيع لمواجهة القوى الغربية المعادية للاتحاد السوفييتي.

ولا يختلف الأمر كثيرا بالنسبة لموضوع " الحرب العالمية الثانية"، فهي في الرواية الروسية تشكّل إحدى أعظم فترات النصر والفخر في تاريخ روسيا الحديث، حيث تركّز هذه الرواية على الدور الروسي الكبير في تحقيق النصر الأكبر فيما يسمّى " الحرب الوطنية الكبرى" la grande guerre patriotique، بينما تسعى في الوقت نفسه إلى وصم الكثير من الشعوب والأعراق بالعمالة والتخابر مع الجيوش النازية، وبخاصة الحركة القومية الأوكرانية.

لا يمكن لأي دارس لسياسات الذاكرة والهوّية في كل من روسيا وأوكرانيا فهم مبرراتها ومبرراتها دون الرجوع إلى ما تحمله هذه المسائل من إمكانات هائلة للتوظيف السياسي الفعّال، إذا لا يمكننا عزل الاشتغال بمواضيع الذاكرة الحساسة عن الرهانات التي تكتنفها والمصلح التي تحقّقها لصنّاع القرار لتثبيت شرعيتهم المهزوزة وذلك بتحويل اهتمامات ومطالب الشعب نحو مسائل خلافية.

فليس من باب الصدفة أن تكون مواضيع الذاكرة في البلدين مرتبطة بقضايا سياسية داخلية و توجهات جيوسياسية محددة، ففي السياسة الداخلية تسمح هذه المسائل في تعزيز الخطاب القومي المتطرف و المنكفئ ، ففي روسيا اعتمدها الرئيس فلاديمير بوتين لتعويض العجز الروسي في إيجاد أيديولوجية متكاملة قادرة على لم شمل المجتمع الروسي الذي عانى من تقلبات المرحلة الانتقالية و صدمة السياسات الاقتصادية اللبرالية التي فشلت فشلا ذريعا ، إذ لم يكن لدى القيادة الروسية الجديدة بدّ من استعادة أمجاد المرحلة السوفييتية واسترجاع رموزها التي شكّلت حسب الرواية الرسمية المجد الروسي، و لو كان ذلك يفرض عليها إعادة الاعتبار لشخصيات روسية منبوذة من قبل معظم شعوب الاتحاد السوفييتي و مسئولة عن مجازر و إبادات جماعية لحقتها، كالزعيم السوفييتي جوزيف ستالين ، و من الناحية الجيوسياسية، تسمح سياسة الذاكرة الروسية الجديدة في عهد الرئيس بوتين إلى إعادة تصدير تصور

مماثل للحرب الباردة يستعيد حالة الاستقطاب و الصراع بين الكتلتين ، الشرقية و الغربية، و ينظر إلى روسيا كقوة صاعدة تسعى للقضاء على الهيمنة الأمريكية و تهدف إلى إنشاء نظام دولي متعدد الأقطاب أكثر عدلا و توازنا.

بالنسبة لأوكرانيا، كانت سياسة الذاكرة وسيلة فعالة للحكومات المناوئة لروسيا للتأكيد على إرادتها في التخلّص من التبعية الروسية وطريقة مثلى لتأكيد التوجّه نحو الغرب و الانخراط في مؤسساته الأمنية و الاقتصادية، فلقد نجحت هذه السياسات في تعزيز التباعد بين السلطات من جهة و بين الشعبين الذين يشتركان في أواصر كثيرة من جهة أخرى،

وكاستنتاج أخير يمكننا القول أنّ سياسات الذاكرة والهوّية في كلا البلدين، خلقت بيئة مشحونة وأججت مشاعر العداء والتنافر وأعطت مبررات للاقتتال والصراع بين البلدين، كان من الممكن تجنبّها لو لم يتم توظيف مآسي الماضي في الصراعات السياسات الداخلية والدولية.

من الواضح أن قوانين الذاكرة، التي كان هدفها الأولي في الغرب هو تعزيز ثقافة الذاكرة الديمقراطية التي تؤكد على معاناة الضحايا، أصبحت في مناطق أخرى من العالم، خاصة في شرق القارة، تعني التعبئة القومية وحروب الذاكرة. فهذا التطور يرجع بالطبع إلى خصائص الدول التي عرفت النظام الاشتراكي السوفيتي، ويبدو أن إساءة استخدام عناصر الذاكرة في كلا البلدين إلى حد كبير كان له كبير الأثر على تعزيز مشاعر العداء والجفاء بين الشعبين. لكن هذه التطورات مرتبطة أيضًا بمبدأ استخدام القانون الجنائي كأداة لتنظيم الذاكرة التاريخية. فالحقيقة كما يحدّدها القانون دائمًا ما تكون مختزلة للغاية بالمقارنة مع الحقيقة التاريخية، كما أنّ قوانين الذاكرة، كما هي عليه في روسيا وأوكرانيا، تمنح القوميين والشعبويين أداة مريحة للغاية للتلاعب بحقائق الماضي، مما يقلل الفرص لتحقيق فهم التاريخ المشترك بين الشعبين، بناءً على فحص نقدي يتجنّب توظيفه كرهان سلطوي.

6- قائمة المراجع:

1. Ackerman Galia 14) .janvier, 2022- .(*la Grande famine au Kazakhstan et son traitement par le régime de Poutine* تم الاسترداد من .desk-russie.eu: https://desk-russie.eu/2022/01/14/la-grande-famine-au-kazakhstan.html
2. Akerman Galia .(2019) .*Le régiment immortel. La guerre sacrée de Poutine* .Paris: Premier Parallèle.
3. Amacher Korine 14) .mars , 2022 .(*D'ou vient le mythe russe d'une Ukraine "Nazie ?"* تم الاسترداد من https://www.heidi.news/articles/d-ou-vient-l-obsession-russe-d-une-ukraine-nazie.
4. Anastasiia Marouchevska 08) .mai, 2022 .(*L 'Ukraine pendant la Deuxième Guerre mondiale : le Mythe de la Grande Guerre Patriotique* تم الاسترداد من . https://war.ukraine.ua/fr/articles/l-ukraine-pendant-la-deuxieme-guerre-mondiale-le-mythe-de-la-grande-guerre-patriotique./
5. André Larané 11) .mars, 2020 .(*le média de l'histoire* تم الاسترداد من .herodote.net: http//www.herodote.net
6. Andrea Graziosi) .mars, 2005 .(Les famines soviétiques de 1931-1933 et le Holodomor ukrainien .*Cahiers du Monde Russe*.472-453 الصفحات ،

7. Anne Applebaum .(2022) .*Famine Rouge , la guerre de Staline en Ukraine* .Paris : Gallimard.
8. atiana KASTOUEVA-JEAN .(2020) .*Mémoire de la Seconde Guerre mondiale dans la Russie actuelle* .Paris: Etudes de l'Ifri Russie.NEI.Reports.
9. Conquest Robert .(1995) .*La grande terreur précédé de sanglante moisson* . Paris: Bouquins editions.
10. IOURI MAKAROV 16) .avril, 2022 .(*UKRAINE : À LA RECHERCHE DU TEMPS PERDU* تم الاسترداد من .https://www.jean-jaures.org/publication/ukraine-a-la-recherche-du-temps-perdu./
11. koposov Nikolay) .octobre, 2014 .(*Une lois pour faire la guerre: La Russie et sa mémoire* تم الاسترداد من . le Débat: https://www.cairn.info/revue-le-debat
12. Koustova Emilia) .avril, 2013 .(La Russie en quête d'une histoire nationale .*Revue Internationale et Stratégique*.73-65 الصفحات ،
13. Leroy Oscar 13) .avril, 2022 .(*La mémoire de l'Holodomor, un enjeu politique russo-ukrainien* تم الاسترداد من . .https://www.verslehaut.org/
14. Martin Barbara) .fevrier, 2012 .(Le Holodomor dans les relations russo-ukrainiennes (2005-2010). Guerre des mémoires, guerre des identités .*Relations internationales* ، .116-103 الصفحات
15. Nicolas Werth .(2014) .Retour sur la grande Famine ukrainienne de 1932-1933 .*Revue d'histoire*.93-77 ،
16. Noiriel Gerard .(2005) .*Sur la » crise « de l'histoire* . Paris : Gallimard.
17. Nora Pierre .(1993) .*Les Lieux de mémoire* .Paris : Gallimard.
18. Pierre Antilogus 20) .séptembre, 2021 ".(*Holodomore" l'extermination par la faim en Ukraine* تم الاسترداد من .https://www.geo.fr/histoire/holodomor-lextermination-par-la-faim-en-ukraine-206333
19. Robert Davies et Stephen Wheatcroft .(2004) .*The Year of Hunger* .New York: Palgrav Mcmillan.
20. Rucker Laurent) .Aout-Septembre, 2004 .(*l'Ukraine affamée par Staline* تم الاسترداد من . le Monde Diplomatique: www.monde-diplomatique.fr
21. Schmitt Olivier 22) .Janvier, 2017 .(*Comment la Russie réécrit l'histoire de la Seconde Guerre mondiale* تم الاسترداد من .https://www.slate.fr/story/135269/russie-histoire-seconde-guerre-mondiale
22. Thomas Wieder 06) .mai, 2022 .(*La relecture de la seconde guerre mondiale, autre front entre la Russie et l'Ukraine* تم الاسترداد من . https://www.lemonde.fr/international/article/2022/05/06/entre-la-russie-et-l-ukraine-la-seconde-guerre-mondiale-une-arme-memoriellel.
23. TZVETA TODOROVA) .mai, 2017 .(*LA GRANDE GUERRE PATRIOTIQUE ,ENSEIGNÉE AUX ÉTUDIANT(E)S RUSSES : LE CULTE DE LA DEUXIÈME GUERRE MONDIALE COMME LIEU D'APPUI AU* تم الاسترداد من . https://archipel.uqam.ca/10137/1/M15053.pdf.